

الشعرية العربية الأصول والتفرعات

الدكتور عبد الهادي بلمهل

جامعة تيارت

قسم اللغة العربية وآدابها

ملخص بالعربية:

تتندى هذه المداخلة لمفهوم الشعرية من حيث التأصيل لها من خلال تتبع مساراتها في النقد العربي القديم بدءا بتجلياتها بحيث لم تخرج عن تحديدات وتعريفات للشعر العربي وصولا إلى نضجها من خلال ما جاء به القرطاجني ،وهي تترى وتتبلور حتى تماهت مع ما جاء به الغربيون تأسيسا علميا للمصطلح ، ذلك من أجل التحقق العلمي من التراث العربي الذي ما انفك يمد النقد بالكثير من المعطيات التي تعوز فقط للنظر الذي افتقده عبر قطيعة ليست بالابستمولوجية، إذ أصبح من الضروري إعادة النظر في هذا التراث من خلال قراءة واعية لوصل ما انقطع .

الكلمات المفتاحية : التراث العربي ، الوزن ، الإيقاع ، الصياغة ، نظرية النظم ، النقد العربي ، القطيعة الابستمولوجية

Summary:

This paper is about the concept of poetry in terms of its rooting through tracing back its tracks in the ancient Arab criticism, starting with its manifestations, so that it did not get off the demarcations and definitions of Arabic poetry until it maturity through the Carthaginian, and it is seen and crystallized even when it came to terms with what the Westerners as a scientific foundation of the concept , for the scientific check of Arabic heritage, which has been providing the criticism with a lot of data that is not only missing the consideration that is missing through a break is not an epistemological split up, it has become necessary to review this heritage through a conscious reading to fill the gap.

Keywords:

Arab heritage, weight, rhythm, drafting, systems theory, Arab criticism, epistemological split up

إنّ الحديث عن الشعر إنّما هو في حد ذاته حديث عن أحد أهم الفنون التي غني بها منذ القديم وحتى يومنا هذا. والحقيقة أنّ العرب أولت الاهتمام لهذا الفن أكثر من غيرها فالشعر هو الملكة الفطرية التي تميزوا بها وعبروا من خلالها عن فكرهم وأحاسيسهم حتى أننا لا نبالغ إذا ما قلنا إن الشعر قد عكس قديما مختلف مظاهر الحياة عند العرب من اجتماع وسياسة ودين... إلخ،

الأمر الذي انعكس بدوره على اهتمام الكثير من النقاد والأدباء بهذا الفن ومحاولاتهم الكثيرة في ضبط مفاهيمه والوقوف على أهم الركائز التي قام عليها.

1- الشعر عند الجاحظ قضية اللفظ والمعنى:

انطلاقاً من قضية اللفظ والمعنى تطرق الجاحظ إلى ماهية الشعر وذلك من خلال عرضه لحادثة استحسان أبي عمرو الشيباني لأحد البيتين إذ قال الجاحظ في ذلك: «وأنا رأيتُ أبا عمرو الشيباني وقد بلغ من استجادته لهذين البيتين ونحن في المسجد يوم الجمعة أن كلف رجلاً حتى أحضره دواة وقرطاساً حتى كتبهما له وأنا أزعج أن صاحب هذين البيتين لا يقول شعراً أبداً ولولا أن دخل في الحكم بعض الفتك لزعمت أنه ابنه لا يقول شعراً أبداً وهما

لا تحسبن الموت موت البلى — — — — — فإنما الموت موت سؤال الرجال

كلاهما موت ولكن ذاك — — — — — أفضح من ذاك لذل السؤال» (1)

لقد عاب الجاحظ على أبي عمرو الشيباني استحسانه للبيتين معتبراً إياهما ليساً بشعر، مرتكزاً في حكمه هذا على قضية اللفظ والمعنى، إذ أن الشعر عند الجاحظ إنما هو حسن الصناعة وإجادة التعبير وفي هذا الباب يقول: «وذهب استحسان المعنى والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك فإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير» (2). والحقيقة أن تعريف الجاحظ هذا يحيلنا إلى مفهوم متطور للشعر إذ تجاوز المعاني وانحاز إلى الشكل إذ أن الشعر عنده صناعة ونسج وتصوير، هذا التصور الجديد للفن الشعري قلل من قيمة المحتوى مهتماً بالألفاظ وكيفية صياغتها صياغة منفردة تدل على قدرة الشاعر وملكته وإلمامه بمبادئ الشعر وقوانينه، ثم إن مصطلح "الصناعة" الذي استعمله الجاحظ إنما يدل على جملة القواعد والقوانين التي تشكل العملية الإبداعية والتي يتم من خلالها المكاشفة عن الشعرية في العمل الشعري، هذا المفهوم الذي تحدث عنه الجاحظ قد أسس لمفاهيم جديدة ولنظريات جعلت من العناية بالشكل شغلها الشاغل وأولته الاهتمام الأكبر في مجال الدراسات الأدبية الحديثة.

2- الشعر عند ابن قتيبة "أضر به وأقسامه":

لقد ذهب ابن قتيبة في حديثه عن الشعر إلى تبين أقسامه وأضر به مبتعداً عن التعريف المتداول بين سائر النقاد آنذاك، متخذاً من الشكل والمحتوى طريقة انتهجها في تحديد أقسام الشعر إذ رأى أن الشعر أربعة أضرب:

«ضربٌ منه حسن لفظه وجاد معناه كقول أبي ذؤيب:

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع

حدثني الرياشي عن الأصمعي، قال: هذا أبدع بيت قاله العرب» (3). يشير ابن قتيبة إلى أن هذا النوع من الشعر يعتبر من أجود أنواع الشعر، إذ يصل هذا النوع بالشعر إلى قمة الإبداع وذلك لتوافق لفظه ومعناه، إذ صيغت ألفاظه صياغة حسنة وحمل محتواه هو الآخر جودة وعمقا في المعنى.

«وضربٌ منه حسن لفظه وحلا، فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى كقول القائل:

ومسح بالأركان من هو مسح*** ولما قضينا من منى كل حاجة

وشدت على حذب المهاري رحالنا..... ولا ينظر الغادي الذي هورائح

وهذا الصنف في الشعر كثير. (4)

هذا النوع من الشعر إذا ما تأملته لم تجد أحسن منه لغة ووزنا وإيقاعا وقافية، في حين أن معانيه لم تتضمن أي نفع أو بالأحرى أي فائدة فيما ترمي إليه، ويرى ابن قتيبة أن هذا الصنف من الشعر كثير ومنتشر بين قائلتي الشعر.

«وضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه، كقول لبيد بن ربيعة:

ما عَاتَبَ المَرْءُ الكريمَ كَنَفِسه *** والمرءُ يصلحهُ الجليسُ الصَّالح

هذا وإن كان جيد المعنى والسبك فإنه قليل الماء والرونق». (5) البيت الشعري الأنف ذكره شعر محكم المعنى، قائم على الوعظ إلا أن ألفاظه لا توافق معانيه جودة ولا توضيحها بالقدر الكافي، وهذا الضرب من الشعر هونفسه الذي أشار إليه الجاحظ في قضية اللفظ والمعنى، والتي دعا فيها إلى الاهتمام بالشكل بما أن المعاني متاحة للجميع وعليه ينبغي أن نبحث في الألفاظ التي تصاغ بها المعاني، ولقد وافق ابن قتيبة الجاحظ في ما ذهب إليه إذ يتجلى ذلك في حكمه على البيت بجودة المعنى والسبك وقلة الرونق.

«وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه، ومن هذا الضرب... قول المرقش:

هَلْ بِالذِّيارِ أَنْ تُجِيبَ صَمَمٌ *** لوأَنَّ حَيًّا ناطقًا كَلَم

يَأبِي الشَّبَابُ الأَفْورِينَولا *** تَغِيطُ أَخَاكَ أَنْ يُقالَ حَكَم

والعجب عندي من الأصمعي إذ أدخله في متخيره وهو شعر ليس بصحيح الوزن ولا حسن الروي، ولا متخير اللفظ ولا لطيف المعنى...». (6) عاب ابن قتيبة على المرقش بيته هذا لتأخر كل من لفظه ومعناه، متعجبا من حكم الأصمعي عليه إذ صنفه ضمن المتخير من الشعر، وهو عند ابن قتيبة لم يتوافر على صحة الوزن ولا حُسْنُ الروي كما أنه رديء اللفظ واهي المعنى.

إن أهم ما يمكن استخلاصه من تقسيم ابن قتيبة للشعر تركيزه على الألفاظ والمعاني واعتبارهما أهم ما يبني عليه الشعر الصحيح إذ أن الحكم على القصيدة إنما يكمن في قدرة مبدعها على المزاجية بين ألفاظها ومعانيها من حيث الحسن والجودة.

3- الشعر عند ابن طباطبا: "معياري الذوق والطبع":

لقد تناول ابن طباطبا العلوي مفهوم الشعر معتمدا على معياري الطبع والذوق، والبنية النسقية للفظ إذ يعرف الشعر بأنه: «كلام منظوم، بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم، بما خص به من النظم الذي إن عدل عن جهة محبته الأسماع، وفسد على الذوق. ونظمه معلوم محدود، فمن صح طبعه وذوقه لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض التي هي ميزانه، ومن اضطرب عليه الذوق لم يستغن من تصحيحه وتقويمه بمعرفة العروض والحق به، حتى تعتبر معرفته الاستفادة كالطبع الذي لا تكلف معه». (7) لعل أهم ما يميز تعريف ابن طباطبا تركيزه على عنصرَي الطبع والذوق، تناول جابر عصفور هذه الفكرة بالشرح والتحليل قائلا: «وأهم ما في هذا التعريف أنه يحدد الشعر على أساس الانتظام الخارجي للكلمات، صحيح أن التعريف لا يشير صراحة إلى القافية إلا أنها منتظمة فيه...». (8) يبدو أن ابن طباطبا قد اهتم بالبنية الخارجية التي تنتظم وفقها الكلمات، معتبرا الشعر الكلام المنظوم الذي خلف المنثور من القول من حيث انتظامه وخضوعه لقواعد الشعر العربي من وزن وإيقاع وقافية حتى وإن لم يتناول مصطلح القافية بالذكر إلا أنه متضمن لها باعتبارها إحدى القواعد التي يبني عليها الشعر، ثم إن ابن طباطبا لم يولي الجانب التخيلي للشعر الاهتمام الكبير يقول جابر

عصفور: «والتعريف- فضلا عن ذلك- لا يهتم بالجانب التخيلي من الشعر، من حيث مصدره أوتأثيره، وإنما يهتم بالشعر في ذاته باعتباره بنية لغوية منتظمة على أساس من الطبع والذوق ولقد استقر- في عصر ابن طباطبا- تعريف الشعر عند الفلاسفة على أنه الكلام المخيل الذي ينشأ من فاعلية المخيلة عند المبدع ويحدث تأثيره بتحريك قوة المخيلة عند المتلقي»⁽⁹⁾.
إنّ معيارَي الطبع والذوق إنّما هما معياران لا بدّ منهما ليكون الشاعر حذقا ملما بالمبادئ الشعرية، هذا ما يؤكده ابن طباطبا الذي يرى أنه لا بديل لهما سوى الدراية بعلم العروض في حال اختلال الذوق، ثم إن ابن طباطبا في مفهومه للشعر حاول الحفاظ على هذا الأخير من انزياحه نحو مفاهيم أخرى وامتزاجه بفنون أدبية مغايرة تفقد الشعر شفافيته المتعارف عليها، من أجل ذلك لم يشر إلى عنصر التخيل الذي ينبثق من مخيلة المبدع وما يحدثه من أثر في المتلقي.

4- الشعر عند قدامة بن جعفر " حدّ الشعر ":

يعد تعريف قدامة بن جعفر للشعر من أهم التعاريف التي مهدت لسبل ترسوعليها قواعد الشعر العربي، إذ حدد ماهية الشعر أو كما أشار إليها بـ " حدّ الشعر " وأجزأها بعبارة حملت في مضامينها أسس هذا الفن الذي يرى أنه: «قول موزون مقفى يدل على معنى»⁽¹⁰⁾. إن أهم ما يستدعي الانتباه في تعريف قدامة للشعر هو منطقية هذا المفهوم، إذ يعد عقليا بحثًا يشمل اللفظ والوزن والقافية دون إهمال المعنى، متناولا ظاهرتي الصوت والتعبير، الظاهرة الصوتية من خلال عنصرَي (الوزن والقافية)، والظاهرة التعبيرية التي شملت (الشكل والمضمون)، والحقيقة أن هذا التعريف وعلى الرغم من عقلانيته إلا أنه تعرض للنقد من قبل بعض النقاد الذين رأوا فيه قصورا لاكتفائه بالوزن والقافية والمعنى، وإهماله لأشياء جمالية وذوقية لا يمكن للشاعر تجاوزها وهذا التعريف فوق ما فيه من مجافاة ظاهرة لطبيعة الشعر، أشبه ما يكون بالقاعدة النحوية التي لا مكان لها في البلاغة ولا في الفن، والتي ترجع اللغة إلى المنطق غير عابئة بما في لغة الشعر من دلالات أخرى، من أجل ذلك جاء تعريفه للشعر تعريفا عاجزا قاصرا، فليس كل كلام موزون مقفى يدل على معنى يعتبر شعرا⁽¹¹⁾.

إلا أنه وإن اختلفت آراء النقاد بين مؤيدٍ ومعارضٍ لحدّ الشعر عند قدامة بن جعفر لا يمكن الإنكار أن هذا التعريف يعد من أهم التعاريف التي وردت في الشعر، وأهم ما يمكن القول عنه أنه أرسى لمبادئ الشعر العربي، والدليل الأصح على أهميته أن هذا حذوه الكثير من النقاد آنذاك إذ جاءت تعاريفه مماثلة له، وإن صيغت بصيغ مخالفة لصيغة هذا الناقد إلا أنه عُدَّ مرجعا مهما لهم، فالعسكري سار على نهج قدامة بن جعفر قائلا: « الشعر كلام منسوج ولفظ منظوم...»⁽¹²⁾ لقد رتب قدامة وحدد القواعد التي ينبني عليها الشعر، ومهد لمفاهيم جديدة انطلقت من مفهومه هذا.

5- الشعر عند القيرواني " شرط القصد والنية ":

يعد ابن رشيق القيرواني من النقاد الذين انتهجوا نهج قدامة بن جعفر في تحديد ماهية الشعر إلا أنه أضاف إليه شرط النية، فالشعر عنده: «يقوم بعد النية من أربعة أشياء، وهي: اللفظ، والوزن، والمعنى، والقافية، فهذا هوحد الشعر؛ لأن من الكلام موزونا مقفى وليس بشعر؛ لعدم القصد والنية، كأشياء اتزنت من القرآن ومن كلام النبي وغير ذلك مما لم يطلق عليه أنه شعر»⁽¹³⁾. لم يكن الشعر عند القيرواني مجرد ألفاظ موزونة ومقفاة أو أقوال تدل على معنى، إذ أضاف إلى المبادئ التي ينبني عليها الشعر العربي شرط القصد والنية، والحقيقة أن القيرواني إنما أضاف ذلك لغرض ديني، إذ أن القرآن الكريم والحديث الشريف لا يعد شعرا بالرغم من

توافره على القواعد المذكورة أنفاً إلا أنه يفتقد لمبدأ القصد مما ينفي صفة الشعر عن النص القرآني والنبوي أيضاً.

كما ذهب القيرواني إلى التمييز بين الشعر والنثر يقول: «وكلام العرب نوعان: منظوم، ومنثور. ولكل منهما ثلاث طبقات: جيدة، ومتوسطة، وردئية...» (14) إلا أنه فضل النظم على النثر يقول: «وقد اجتمع الناس على أن المنثور في كلامهم أكثر، وأقل جيداً محفوظاً، وأن الشعر أقل، وأكثر جيداً محفوظاً؛ لأن في أدناه من زينة الوزن والقافية ما يقارب به جيد المنثور» (15) يبدو أن التعريف الذي جاء بت القيرواني هو ذاته حد الشعر عند قدامة باستثناء شرط النية الذي أضافه لغرض ديني ألا وهو نفي الشعرية عن النص القرآني.

6- الشعر عند الجرجاني: "نظرية النظم"

لم تكن نظرية الجرجاني محصورة في الاهتمام بالشعر فحسب وإنما تعدته إلى أبعد من ذلك، وانطلاقاً من الإعجاز القرآني استمد نظريته في النظم والتي أسس بها لفكر نقدي جديد، ولرؤى تعدت الوزن والقافية، فكان النظم عنده سرّ الإعجاز الكامن في علاقة اللفظ بالمعنى، يقول: «ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو. وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء عنها» (16). والنظم هنا يقصد به العمل وفق المعايير النحوية وأصولها، إنه أولاً اختيار الألفاظ المناسبة ومن ثم تركيبها مع توخي الدقة والخضوع لمبادئ النحو، وعدم الإخلال بها، يرى حسن ناظم أن: «نظرية النظم تتموقع هنا، في إطار علاقة جديدة هي مبحث جدتها، وهذه العلاقة تربط بين النظم والنحو، وفي ضوء هذه العلاقة (النظم- النحو) يكون الطريق إلى إستنباط القوانين الإبداعية متيسراً ومثيراً في الوقت نفسه» (17). ويسترسل الجرجاني في شرح نظريته قائلاً: «واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علماً لا يعترضه الشك، أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك» (18) ومن هنا يشير الجرجاني إلى العلاقة بين اللفظ والمعنى فترتيب الألفاظ إنما يتوافق وترتيب المعاني في النفس مؤكداً على أهمية العلاقة بينهما على الوجه الذي يقتضيه العقل: «ليس الغرض بنظم الكلم، إن توالى ألفاظها في النطق، بل إن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل» (19) هذه العلاقة بين اللفظ والمعنى جعلت من النظم عند الجرجاني: «نظير الصياغة والتحرير والتفويف والنقش وكل ما يقصد به التصوير» (20) وقد وصفت هذه الصلة بين اللفظ في نظرية النظم بأنها «بمنزلة المادة والصورة وبمثابة الروح والجسد» (21).

ولم يحذو الجرجاني حذو من سبقه من النقاد في الاهتمام بالوزن والقافية فقد أكد على أن الوزن كقضية لا يعنيه أمرها، وأن حسن الشعر لا يرجع إلى الوزن والقافية وإنما إلى جزالة اللفظ وحسن المنطق، وإلى حسن التمثيل (22).

والحقيقة أن الجرجاني قد تمكن ومن خلال نظرية النظم من الخروج على المعايير القديمة القائلة بالوزن والقافية والتي اهتمت بالشعر كأفضل أنواع الكلام بل شملت هذه النظرية الشعر والنثر على حد سواء، وأن مبادئ النظم تتحقق بمراعاة مبادئ النحو وعدم الخروج عليها، والاهتمام باللفظ والمعنى وعدم إعلاء منزلة أحدهما على الآخر واعتبارهما وجهان لنظرية واحدة متكاملة، وقد عدت نظرية النظم عند الجرجاني مرجعاً هاماً يقتدى به في الدراسات النقدية الحديثة.

7- الشعر عند القرطاجني: تكامل المفهوم:

إنّ الوصول إلى مفهوم الشعر عند القرطاجني هو وصول إلى مرحلة، النضج وتكامل المفهوم، إذ حمل هذا الأخير في طياته ملامح الشعرية الحديثة، ليس ذلك فحسب بل إنّ القرطاجني عكس في تعريفه للشعر أثر الفلسفة اليونانية على ما قدمه، إذ يرى القرطاجني أنّ: «الشعر كلام موزون مقفّى من شأنه أن يحبّب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها، ويكرّره إليها ما قصد تكرّيره، لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه، بما يتضمن من حسن تخيل له، ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيئة تأليف الكلام، أوقوة صدقه أوقوة شهرته، أو بمجموع ذلك، وكل ذلك يتأكد بما يقترن به من إغراب، فإنّ الاستغراب والتعجب حركة للنفس إذا اقترنت بحركتها الخياليّة قويّ انفعالها وتأثيرها»⁽²³⁾ والصورة التي تتجلى بداية من خلال هذا التعريف هو أنّه عكس ثقافتين أولهما عربية محضة تمثلت في اعتبار الشعر هو القول الموزون المقفّى، وهي الرؤية المتعارف عليها من قبل النقاد القدامى، ويجدر التنويه هنا إلى أن حازم القرطاجني لم يشدد على الوزن والقافية فحسب بل أضاف شروطاً أخرى للشعر إن خلا منها فقد شعرته، وإن توافرت فيه القواعد العربية التي حددها قدامة بن جعفر يقول: «وأرد الشعر ما كان قبيح المحاكاة والهيئة واضح الكذب خليا من الغرابة وأجدر ما كان بهذه الصفة ألا يسمى شعرا وإن كان موزونا مقفّى»⁽²⁴⁾. أما الثقافة الثانية فهي يونانية تمثلت بوادرها في تطرقه للمحاكاة والحديث عنها وتفسيرها والتي إن دلت على شيء فإنّما تدل على تأثير هذا الأخير بالفكر الأرسطي وبالأخص كتابه "فن الشعر" في حين أن ملامح الشعرية الحديثة قد ظهرت في المفهوم الذي هو بصدد التحليل كما احتواه هذا الأخير من إنجاز دل على تمكن صاحبه من العمل النقدي، فالقرطاجني بداية أشار إلى مبادئ الشعر العربية والتي يقصد بهما الوزن والقافية، وكما ذكرنا سابقاً فإنه لم يشدد عليها إلا أنّه أقر بها كأحد الشروط التي تُسهم في التكامل، كما أنّه فتح المجال النقدي على شعرية النثر باعتبار الشعر محاكاة والتي شملت مختلف أنواع الفنون عند "أرسطو" الفكرة تحدث عنها حسن ناظم في كتابه مفاهيم شعرية يقول: «إنّ الفن عامة، حسب أرسطو محاكاة... ويقدم أرسطو المحاكاة بوصفها قانوناً للفن بشكل عام...»⁽²⁵⁾ انطلاقاً من فكر أرسطو تحدث القرطاجني عن إمكانية اشتغال النثر على الشعرية يقول: «مما كان من الأقاويل القياسية مبنياً على تخيل وموجودة في المحاكاة فهو يعد قولاً شعرياً»⁽²⁶⁾. كما عني في مفهومه بالمتلقي وذلك من خلال ما يبثه التخيل من أثر فيه، والحقيقة أن القرطاجني وبترفضه للتخيل إنما أسس لنظرية تهتم بالمتلقي وبما يوقعه خيال الشاعر أو نمطه من وقع في نفس من يتلقاه يقول: «والمخيل هو الكلام الذي تدعّن له النفس فتنبسط لأمر أو تتقبض عن أمور غير رويّة وفكر واختيار وبالجملّة تتفعل له انفعالا نفسانيا غير فكري...»⁽²⁷⁾. كل ذلك يتحقق عند القرطاجني بالإغراب والتعجب والذي يرى أنه طالما وجدا في العمل الأدبي قويّ تأثير النفس وانفعالها يقول حسن ناظم: «كما لا يفوته تثبيت الإغراب بوصفه ركناً أساسياً من أركان الشعرية في الشعر، فالإغراب هو ذلك الركن الذي بنيت عليه، فيها بعد الشعرية من وجهة نظر الشكلايين الروس لاسيما شك洛夫سكي من خلال كسر رتبة العالم: فهو يقوم بتحطيم رتبة اللغة وخلق غرابة في علاقاتها لتستعيد ديناميتها»⁽²⁸⁾.

لم يقف القرطاجني عند هذه الحدود السابقة الذكر بل تجاوزها إلى مسائل لم يتوصل إليها الدارسون في مجال الشعرية إلا حديثاً، فالقرطاجني أثار بمسألة العناصر المكونة للرسالة هذه العناصر التي تحدث عنها ياكبسون في نظريته الاتصالية هذه المسألة أشار إليها عبد الله الغدامي قائلاً: «من قبل ياكبسون بسبع مائة عام... مات حازم 1285م - حيث ذكر أن الأقاويل

الشعرية تختلف مذاهبها وأنحاء الاعتماد فيها بحسب الجهة أو الجهات التي يعنى إيقاع الحيل التي هي عمدة في إنهاض النفوس لفعل شيء أوتركه أو التي هي أعوان الأعمدة...» (29).

إن هذه المسألة بالذات لا تتم إلا على مدى أهمية منهج القرطاجني في تحديده لملامح الشعرية، والذي يعد مرجعا مهما ينبغي الوقوف على تحليله والكشف عن مضامينه إذ أنه وبالرغم من الدراسات الحديثة في هذا المجال إلا أنه قد كان السباق إلى تصنيف عناصر الرسالة، هذا التصنيف الذي يتقارب إلى حد ما مع ما توصل إليها ياكبسون ويواصل عبد الله الغدامي طرحه لهذه المسألة إذ يقول: «فهذه أربعة عناصر من عناصر ياكبسون لدى القرطاجني نحددها كالآتي:

1. ما يرجع إلى القول نفسه: الرسالة.

2. ما يرجع إلى القائل: المرسل.

3. ما يرجع إلى المقول فيه: السياق.

4. ما يرجع إلى المقول له: المرسل إليه» (30).

لعله من الطبيعي بعد كل ما ذكر أن نُقر بمدى قيمة ما قدمه القرطاجني وبمدى أهمية تراثنا النقدي، فالقرطاجني تمكن من المكاشفة عن ملامح الشعرية والوصول إلى المفهوم الشعري إلى مرحلة النضج وتكامل المفهوم مما يدل على أن ما قدمه يعد مرجعا أساسيا للدراسات الحديثة في هذا المجال.

لقد كانت الشعرية في التراث العربي تلك الشعرية التي ركزت على صنف الشعر دون سواه والتي خضع عندها لمعايير الوزن والقافية واللفظ والمعنى، هذا المفهوم الذي يظل متداولاً لحقب من الزمن، شعرية اهتمت بمطابقة المعاني للألفاظ وعلى حسن الصياغة إلا أن هذا المفهوم خضع للتغير من حقبة لأخرى، وإن كان هذا التغير جزئياً إلى أن تكامل المفهوم ونضج بدءاً بالجرجاني وصولاً إلى القرطاجني إذ بدأ الاهتمام بأصناف أخرى كالنثر إذ لم تعد الدراسة مقتصرة على الشعر في حد ذاته بل تعدته مع الاهتمام بعناصر أخرى أصبحت قيد الدراسة كالتخييل والأثر والمتلقي... وعدت المؤلفات التي وضعت لهذا الغرض مراجع ذات أهمية كبرى عبر مختلف الأزمنة.

هوامش الدراسة:

1 - الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط2، 1956، ص: 270.

2- الجاحظ، الحيوان، ص: 271.

3- ابن قتيبة الدينوري، الشعر و الشعراء، تح: عبد المنعم خفاجي، دار المعارف، القاهرة، د ط، د ت، ج1، ص: 3.

4- ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، ص: 3.

5- المصدر نفسه، ص: 4.

6- المصدر نفسه، ص: 6.

7 - محمد أحمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تح: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1426هـ/ 2005م، ص: 9.

8 - جابر عصفور، مفهوم الشعر، دار التنوير، لبنان، ط2، 1982م، ص: 19. 9 - جابر عصفور، مفهوم الشعر، ص: 19.

10- قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تح: عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص: 64.

- 11- ينظر: المرجع السابق، ص: 25.
- 12 - أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، د ط، 1986م، ص: 60.
- 13 - ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، د ط، د ت، ج 1، ص: 68.
- 14 - المصدر نفسه، ص: 2.
- 15- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ص: 2.
- 16 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق: محمد محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 5، 2004م، ص: 81.
- 17 - حسن ناظم، مفاهيم الشعرية دراسة مقارنة في الأصول و المنهج، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 2003م، ص: 46.
- 18 - المصدر السابق، ص: 55.
- 19 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، نفسه، ص: 54.
- 20 - المصدر نفسه، ص: 50.
- 21 - قاسم المومني، شعرية الشعر، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط 1، 2002م، ص: 19.
- 22 - ينظر: المصدر السابق، ص: 48.
- 23 - أبي الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء، تح: محمد الحبيب ابن الخرجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 3، 1986م، ص: 71.
- 24 - المصدر نفسه، ص: 71.
- 25 - حسن ناظم، مفاهيم الشعرية دراسة مقارنة في الأصول و المنهج، ص: 36.
- 26 - المصدر السابق، ص: 83.
- 27 - أبي الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الادباء، ص: 85.
- 28 - حسن ناظم، مفاهيم الشعرية دراسة مقارنة في الأصول و المنهج، ص: 52.
- 29 - عبد الله الغدامي، الخطيئة و التكفير من البنيوية إلى التشريرية، كتاب النادي الأدبي الثقافي السعودية، ط 1، 1985م، ص: 15.
- 30 - عبد الله الغدامي، الخطيئة والتكفير من البنيوية الى التشريرية، ص: 16.